

تاريخ الاستلام: 2023/01/19 تاريخ القبول: 2023/04/23 تاريخ النشر: 2023/06/18

روميسة طاجين^{*1}

جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل (الجزائر)

مخبر علم النفس والتربية وقضايا المجتمع - جامعة جيجل

Email: Roumaissa.tadjine@univ-ijjel.dz

رضوان بواب²

جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل (الجزائر)

مخبر علم النفس والتربية وقضايا المجتمع - جامعة جيجل

Email: Bouab.redouane@univ-ijjel.dz

الملخص:

فرض الحقل التعليمي الخاص مكانته داخل الفضاء المجتمعي في الجزائر و أفرز تداعياته الطبقية بين مختلف الشرائح الاجتماعية مما ساهم في بروز ظاهرة اللامساواة الاجتماعية مستهدفا في ذلك بالدرجة الأولى فئة المتعلمين على اختلاف أصولهم الاجتماعية و مستوياتهم الاقتصادية و الثقافية ،لذا فقد هدفت هذه الدراسة إلى إبراز المقصود من كل من التعليم الخاص و اللامساواة الاجتماعية و التعرف على أبرز النظريات السوسيو تربوية التي بإمكانها تفسير العلاقة بين التعليم في المدارس الخاصة و إشكالية اللامساواة التي فرضتها داخل المجتمع و توضيح عوامل الإقبال المتزايد على التعليم الخاص في المجتمع الجزائري و تمظهراته الطبقية المكرسة للتمايز الاجتماعي

الكلمات المفتاحية : الحقل ، لتعليم الخاص ، اللامساواة الاجتماعية

Abstract:

The private educational field imposed its position within the societal space in Algeria and produced its class repercussions among the various social strata, which contributed to the emergence of the phenomenon of social inequality, targeting primarily the educated class of different social origins and their economic and cultural levels. Therefore, this study sought to highlight the meaning From both private education and social inequality and identifying the most prominent socio-educational theories that can explain the relationship between education in private schools and the problem of inequality imposed within society and clarify the factors of increasing demand for private education in Algerian society and its class manifestations devoted to social differentiation.

Keywords: field - special education - social inequality.

* المؤلف المرسل: روميسة طاجين

مقدمة:

تعد المؤسسات التعليمية من بين أبرز المؤسسات التربوية التي تشكل فضاء محوريا داخل أي مجتمع نظرا لمساهمتها في تكوين الأفراد و تأهيلهم لتبوء مواقع اجتماعية معينة تحدد الطبقة التي سينتمي إليها هؤلاء الأفراد ضمن الفضاء الاجتماعي، ولقد شهدت الساحة التعليمية خلال السنوات الأخيرة مستجدات في المنظومة التعليمية الجزائرية خصوصا على مستوى القطاع الخاص بمختلف أطواره التعليمية و ذلك في ظل تفاوت إمكانيات الالتحاق بالتعليم المخصص و تباين مستويات الطموح لدى المتدرسين في خضم تباين التركيبة الطبقية للمجتمع بين الفئات الهشة و المتوسطة و ميسوري الحال .

إذ نجد أن الحقل التعليمي الخاص يسعى إلى الاستمرارية في التميز و الإنفراد بخدمة تعليمية فعّالة تركز على الكيف على حساب الكم من أجل تلبية حاجات وطموحات المتدرسين ممن يملكون ثمن سلعة التعليم باعتبارهم يمثلون الحلقة الأقوى داخل المدارس الخاصة ، حيث يتم فيها الحرص الشديد على توفير متطلباتهم من جميع النواحي سواء ما تعلق بنوعية التعليم ،الجانب البيداغوجي و خلق علاقة تواصلية ناجحة داخل الصف و كذا الاهتمام بالحس الإبداعي لدى التلاميذ عبر تنمية أذواقهم سواء من خلال التركيز على التربية التشكيلية ،الموسيقية ،البدنية الرياضية والقيام بالرحلات الترفيهية و كذا السهر على أمن المتعلمين وراحتهم طوال اليوم الدراسي .

لهذا فقد أضحى التعليم في المدارس الخاصة إلى المساهمة في تكريس قدر كبير من اللامساواة الناجمة أساسا عن التفاوت و التباين الاجتماعي بين المتدرسين بالمجتمع الواحد بخصوص الاستفادة من خدمات تعليمية موحدة ،حيث أضحت المؤسسات التعليمية الخاصة مرتعا لشرعنة اللا تكافؤ في الحظوظ و الفرص التعليمية و الاجتماعية عبر آلية الاصطفاء التي تعتمد عليها من خلال تمجيد القدرة المادية للمتدرس و أصله الاجتماعي في حين يتم تجاهل القدرات الذهنية الخاصة بالمتعلم

مما ينتج تهميشا وإقصاء للفئات الاجتماعية الأخرى الذين يتلقون تعليما مغايرا لا يتم عبر نفس الآليات و لا بنفس المناخ التعليمي بكل المكونات المشكلة له و المرتبطة بالبيئة المدرسية ،نوعية الأساتذة ،أصول التلاميذ ...مما يخلق تمييزا بين مختلف الفئات الاجتماعية من المحظوظين والمحرومين اجتماعيا .

وعلى هذا الأساس فقد طرحت هذه الدراسة التساؤلات الآتية :

- ما المقصود بكل من التعليم الخاص و اللامساواة الاجتماعية ؟
- ما هي أبرز النظريات السوسيو تربوية المفسرة لموضوع الدراسة ؟
- فيما تتمثل عوامل التوجه المفرط نحو التمدرس بالقطاع الخاص ؟ و ما هي أهم مظهراته الطبقية الاجتماعية ؟

2- أهداف الدراسة : تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف و المتمثلة

فيما يأتي :

- التعريف بكل من التعليم الخاص و اللامساواة الاجتماعية.
- التعرف على أبرز النظريات السوسيو تربوية المفسرة للحقل التعليمي الخاص وعلاقته باللامساواة الاجتماعية
- الكشف عن العوامل المؤدية إلى الإقبال المتزايد نحو المدارس الخاصة الجزائرية.
- توضيح أبرز مظهرات الطبقية الاجتماعية التي تركزها المدارس الخاصة

3-أهمية الدراسة : تتميز هذه الدراسة بقيمة علمية بالغة ضمن الحقل السوسولوجي بصفة عامة و الحقل التربوي بصفة خاصة نظرا لتبوء النظام التعليمي الخاص لمكانة بارزة بين المؤسسات التعليمية الموجودة في المجتمع، إذ فرضت المدارس الخاصة و ما تحمله من توجهات و مساعي ربحية و تعليمية في آن واحد منطقها على فئة الفاعلين الاجتماعيين الذين حوّل لهم انتمائهم الطبقي المتميز الولوج إلى الحقل التعليمي الخاص و احتكاره في سبيل الحفاظ على المكانة المجتمعية ،و الذي في المقابل أحدث

شرخا و تشظيا داخل البنية المجتمعية و ساهم في تكريس اللامساواة داخل المجتمع و عدم تكافؤ الفرص في الظفر بنفس الميكانيزم و النوعية من التعليم.

4-المفاهيم المفتاحية للدراسة :

4-1 الحقل : يتكون الفضاء الاجتماعي وفقا للسوسيولوجي الفرنسي بيار بورديو من مجموعة من مجالات الحياة الاجتماعية و التي يطلق عليها بالحقول و ذلك نظرا للتمايز التدريجي للعالم الاجتماعي الناجم عن تقسيم العمل و لكل حقل قواعد اللعبة الخاصة به التي تحدد آليات شرعية للحصول على رأسمال محدد خاص بذلك الحقل (Jourdain et Naulin, 2011, p-96-98) كما يكون الفاعلين فيه موزعين حسب مبدئي التفرقة خصوصا ما تعلق بالرأسمال الاقتصادي و الثقافي، حيث أنه كلما كانوا أكثر اقترابا منهما كانت لديهم أشياء مشتركة و كلما كانوا أكثر ابتعادا قل بينهم ما هو مشترك. (بورديو، 1998، ص29) و فيما يلي أبرز تعريفات الحقل حسب التصور البورديوي :

الحقل هو : "مجال تنافسي للصراعات بين الفاعلين سواء على مستوى كل من الرساميل النوعية الاقتصادية، الثقافية، و الرمزية و أيضا على مستوى فرض قواعد لعبة الحقل. "(العلي، 2022، ص41)

كما اعتبر الحقل بأنه : "شبكة للعلاقات الموضوعية بين المواقع التي تكون محددة موضوعيا في وجودها و في الحتميات التي تفرضها على الذين يشغلونها (أعوانا أو مؤسسات) من خلال موقعهم الحالي و المحتمل في بنية توزيع الأنواع المختلفة للسلطة (أو للرأسمال) بحيث أن امتلاكها يتحكم في الحصول على الفوائد الخصوصية التي هي محل رهان في الحقل و في آن واحد مع العلاقات الموضوعية للمواقع الأخرى (السيطرة، التبعية ...). (بزاز، 2006/2007، ص63)

و في تعريف آخر يمثل الحقل " كل لحظة مميزة بعلاقات القوة الناجمة عن صراع مختلف الفاعلين إما لحماية توجه الحقل أو لمحاولة تدمير النظام القائم. "(شوفالبيه و شوفيري، 2013، ص149)

و من خلال هذه التعاريف يتضح لنا جليا بأن الحقل هو فضاء للصراع على المواقع الاجتماعية بين المالكين للرأسمال الخاص بذلك المجال و الذين يسعون لاحتكاره و بين من هم أقل امتلاكاً له و الذين يسعون لاكتسابه.

4-2 التعليم الخاص: يحتل التعليم مكانة بارزة داخل أي مجتمع و من بين أنواع التعليم التي شهدت انتشارا واسعا في مجتمعنا الجزائري في الآونة الأخيرة نجد التعليم الخاص و فيما يأتي أبرز تعاريفه :

عرف في معجم المصطلحات التربوية و النفسية بأنه : "التعليم الذي يتم في مدارس غير التي تنشئها الدولة ،و قد يتم أحيانا في المنزل عن طريق المربيات و المدرسين الخصوصيين. " (شحاتة و النجار ،2011،ص117)

و عرف القاموس الأمريكي التعليم الخاص بأنه "التعليم المقدم من قبل مدرسة ابتدائية أو ثانوية يديرها و يدعمها الأفراد أو شركة و ليس من قبل الحكومة أو هيئة عامة ."

كما يقصد بالتعليم الخاص بأنه : ذلك النوع من التعليم الذي يتم في مؤسسات تعليمية غير حكومية أنشأها أفراد أو هيئات أو جمعيات من أجل القيام بالعملية التعليمية في المراحل كافة مقابل جمع مصروفات التلاميذ لتغطية تكاليف التعليم وتسيير هذه المدارس على نفس خطط و مناهج المدارس الحكومية . " (عبد الأمير وخزعل ناشور ،2020،ص72،73)

و من خلال ما سبق يتبين لنا بأن التعليم الخاص هو التعليم الذي يتم في مدارس غير تابعة للقطاع العام يسيرها خواص سواء كانوا أفراد ،جمعيات ،شركات يتلقاه الأفراد وفق مقابل مادي.

4-3 اللامساواة الاجتماعية : تعد اللامساواة داخل المجتمعات من بين القضايا البارزة التي لاقت اهتماما و جدلا واسعا بين مختلف العلماء و الباحثين نظرا لتأثيرها المباشر على سيورة حياة الأفراد و فيما يأتي أهم تعاريفها :

- عرف قاموس كامبردج لعلم الاجتماع اللامساواة الاجتماعية بأنها "التوزيع غير المتكافئ للفرص و المكافآت و السلطة بين أفراد المجتمع و الأسر و المجموعات. (Turner.2006.p286) "

وعرفت اللامساواة الاجتماعية في معجم علم الاجتماع بأنها: "الاختلاف الذي يخدم موضوع التسلسل الهرمي داخل مجتمع معين و يستند إلى تقييم القيم المنتجة اجتماعيا التي يعاني منها فرد أو مجموعة اجتماعية " Alpe et(2013 .p193

كما تناول معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية اللامساواة الاجتماعية على أنها "الفروق الموجودة في الأوضاع الاجتماعية و التي تقوم بصفة أساسية على الأصل العائلي و العرف الاجتماعي و الثروة و النفوذ السياسي و التعليم و آداب السلوك و ذلك في مجتمع متجانس. " (بدوي،أحمدزكي،1986،ص388)

و في تعريف آخر يقصد باللامساواة الاجتماعية بأنها : "التوزيع الغير متساوي للموارد و العوائد و الفرص على مختلف الأفراد داخل جماعة ما أو عدة جماعات داخل المجتمع الواحد." (أبو دوح ،2016،ص11)

و منه يمكننا القول بأن اللامساواة الاجتماعية هي تعبير عن اللا تكافؤ الاجتماعي بين أفراد المجتمع الواحد خصوصا ما تعلق بالفرص المتاحة حيث تختلف من فرد لآخر وفقا لما توفره الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها و التي بدورها تؤدي إلى التباين في السلطة و المكانة الاجتماعية و تنتج توترات داخل المجتمع برّمته .

5-قراءة في أهم النظريات السوسيو تربوية المفسرة لموضوع الدراسة :

يعد كل من الحقل تعليمي و ظاهرة اللامساواة الاجتماعية من بين أبرز القضايا و الإشكالات التي سعى الباحثين و علماء الاجتماع إلى إعطائها تحليلات و تفسيرات في إطار الحقل السوسولوجي عامة و سوسولوجيا التربية على وجه الخصوص معتمدين في ذلك على منطلقات و أسس فكرية تعكس أيديولوجياتهم و السياق

الزمني الذي تواجدوا فيه و سنعرض أبرز التحليلات النظرية التي تناولت موضوع دراستنا فيما يأتي :

5-1 النظريات الماركسية المحدثّة : يتفق الماركسيين المحدثين على أن النظام التعليمي ما هو إلا وسيلة تتحول عبرها القوة الاقتصادية الموروثة إلى صيغة اجتماعية تكون أكثر قبولاً كما أنه أداة تصنيفية من أجل إضفاء الشرعية على الأوضاع الطبقية التي سبق تحديدها في المجتمع ،فالتباين في الفرص التعليمية ينعكس على احتمالات الترقى الاجتماعي كون أن التعليم المتاح للطبقة المسيطرة مختلف عن ذلك الذي تتلقاه باقي الطبقات الاجتماعية. (حمدي،2003،ص،148، 149)

و سنطرق فيما يأتي لآراء أبرز الماركسيين المحدثين التي تناولوها في إطار نظرياتهم :

5-1-1 نظرية إعادة الإنتاج الثقافي : و يمثلها كل من السوسيولوجيان الفرنسيان **جان كلود باسرون (Jean claud Passron) و بيار بورديو (Pierre Bourdieu)** (1930-2003) و اللذان اشتهرا بمؤلفهما "الورثة :الطلبة و الثقافة" (1964) و كتابهما " إعادة الإنتاج " (1970) و قد أوضحا فيهما أثر الانتماء الاجتماعي الثقافي للمتعلمين على تحصيلهم الدراسي كما تناولوا ظاهرة إعادة الإنتاج و تناولوا من خلالها قضية أن الأفراد لا يملكون نفس الحظوظ في تحقيق النجاح المدرسي و ذلك بسبب التراتبية الاجتماعية و التفاوت الطبقي ، فالمتعلم حسبهما يتلقى ثقافة مؤدجة تعبر عن ثقافة الهيمنة و بالتالي فالمدرسة حسبهما تعمل على إعادة إنتاج نفس الطبقات داخل المجتمع عن طريق الاصطفاء و الانتقاء و بالتالي فهي مدرسة اللامساواة الاجتماعية ،كما أنه من وجهة نظر بورديو و باسرون الأطفال قبل التحاقهم بالمدرسة لا يملكون نفس المستوى من الرأسمال الثقافي و من أجل أن تحافظ المدرسة على وظيفة إعادة الإنتاج فهي تقوم بفرض معايير بورجوازية تؤدي إلى فرض التعسف الثقافي داخل المجتمع، فطفل الطبقة العليا يعيش تكاملاً بين ثقافة كل من طبقته و مدرسته (حمداوي،2018،ص94، 95) حيث يكون وسطه مليئاً

بالمثيرات الثقافية من كتب، فيديو، مستوى تعليمي مرتفع، رحلات ترفيهية و أنشطة متنوعة (المجيدل و وطفة، 2015، ص147)

في حين أن طفل الطبقة الدنيا يعيش قطيعة و اغترابا ثقافيا و من أجل أن يتوافق مع هذه الثقافة الجديدة وجب عليه أولا التخلص من رواسب ثقافته الأصلية ثم بعدها يقوم بعملية تعلم طرق جديدة في السلوك و التفكير وحتى اللغة (حمداوي، 2018، ص96) حيث أن الحقل التعليمي من خلال إعطائه أهمية للغات معينة فهو بذلك يستطيع احتكار عملية إنتاج المنتجين و المستهلكين و من ثم احتكار عملية إعادة إنتاج هذه السوق اللغوية التي تضيفي القيمة الاجتماعية بخصوص التمكن من لغة معينة على حساب اللغات الأخرى(ينون وآخرون، 2022، ص107) و بالتالي فالرأسمال الثقافي يعيد إنتاج نفسه و يتراكم وفقا لمبدأ الربح الاقتصادي ففي الوقت الذي يستحوذ فيه أبناء الطبقات البورجوازية على النصيب الأكبر من الرأسمال الثقافي المتاح لهم في أوساطهم الاجتماعية فإن أرباحهم الثقافية ستكون مضاعفة على مستوى النجاح و التفوق المدرسيين. (المجيدل و وطفة، 2015، ص148)

و كمحصلة للأفكار البوردوية و الباسرونية فإن "النظام التعليمي المدرسي يعمل بشكل موضوعي على الإقصاء كليا عندما يتجه الفرد نحو الطبقات المحرومة " (Bourdieu et Passeron.1964.p11) و ذلك من أجل أن يظل أبناء الفقراء فقراء و أبناء الأغنياء أغنياء و يبقى هناك ثبات اجتماعي في المواقع أو ما يعرف بمبدأ الحراك الاجتماعي المضمون (الشخيبي، 2002، ص59)

5-1-2 نظرية إعادة إنتاج قوة العمل :يعد لويس بيار ألثوسير (louis Pierre Althusser) ممثل هذه النظرية و الذي إشتهر بمؤلفه "الأيدولوجيا و الأجهزة الأيدولوجية " (1970) و قد تضمن آرائه في إطار المنظور الماركسي المحدث حول أجهزة الدولة الأيدولوجية و المتمثلة في المؤسسات المختصة التي تساعد الدولة في تكريس سلطتها و التي من أبرزها النظام العائلي، الثقافي والنظام المدرسي الذي تمثله

المدارس المختلفة العامة و الخاصة (عماد، 2016، ص56) و التي تعد جزء من البناء الفوقي الذي تتحدد معالمه حسب نوعية البناء التحتي الذي يعكس علاقات الإنتاج و يحكم مصالح الطبقة الحاكمة (عبد الرحمان، 1998، ص225) و تتبع وحدة هاته الأجهزة من ولائها للأيدولوجيا المهيمنة و تكمن أهميتها في كونها تعمل على إعادة إنتاج سلطة الدولة و تتضاعف هذه الأهمية نظرا لأن الأجهزة الأيدولوجية تعد ميدانا لرهان سيطرة طبقة على حساب الطبقات الأخرى (عماد، 2016، ص56، 57) فالقوة الفيزيقية لا تعد من الوسائل الفعالة لفرض السيطرة و التحكم عل خلاف الأيدولوجيا التي تستحوذ على نسق المعتقدات و الأفكار (عبد الرحمان، 1998، ص226) كما أنه حسب منظور ألتوسير فإن المدرسة أصبحت شركة مثل أي مؤسسة اقتصادية أخرى تهدف إلى مزيد من القيمة و أصبح التعليم عبارة عن سلعة خاصة (Klippel Fofano and Luiz rech.2021.p13)، إضافة إلى كونها تعمل على إعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية المسيطرة و ذلك عبر الطقوس المدرسية اليومية، التفاعل الذي يتم بين المعلمين و التلاميذ و المواد المرسدة و محتواها وتصميم الأبنية المدرسية. (جعيني، 2009، ص109)

وكخلاصة لآراء الثوسير فإن "المدرسة تعمل على إعادة إنتاج نمط عمل الرأسمالية الذي هو في صراع طبقي دائم و نظرا لأنه يعيد إنتاج الصراع الطبقي فإن المدرسة والأسرة في حد ذاتهما في أزمة لأنهما لا يعملان بشكل كامل من أجل التحرر البشري و لكن لمجرد إعادة إنتاج العلاقات الرأسمالية. (Klippel Fofano and Luiz rech.2021.p13)

5-1-3 نظرية الرموز اللغوية : و يمثلها عالم الاجتماع الإنجليزي "بازيل برنارد برنشتاين" (Basil Bernard Bernstein)(1924-2000) و الذي اشتهر بمؤلفه "الصفوف و الرموز و الدراسات النظرية الضابطة نحو علم اجتماع اللغة" الذي صدر عام 1974 و كذا كتابه " اللغة والطبقات الاجتماعية :الرموز اللغوية الاجتماعية و

الرقابة الاجتماعية" (1975) و الذي تناول فيهما المدرسة باعتبارها "فضاء للصراع اللغوي و اللساني" إذ اعتبر لغة أطفال الطبقتين الوسطى و العليا بأنها تتميز بترائها و مرونتها و ترابطها منطقيا إضافة إلى تميزها بالتجريد و طول جملها في حين أن لغة أبناء الطبقة الدنيا ضيقة و محدودة ومفككة و لا تخضع للترباط المنطقي (حمداوي، 2018، ص99)، و يرجع برنشتاين هذا التباين اللغوي بين المتعلمين إلى تباين طبيعة الحياة الأسرية الاجتماعية بين الطبقات التي ينتمون إليها و إستخدامهم لشفرتين لغويتين مختلفتين و اختلاف بنية العلاقات الاجتماعية لكلية (تلي وطويل، 2021، ص205)، فبرنشتاين لا يرى بأن كل طبقة اجتماعية تملك لغة خاصة فحسب إنما هذا يتعداها إلى تنوع الجهاز اللغوي المستخدم حسب العائلة كذلك، إذ أنه حسب تصوره فإن شكل الخطاب المستخدم هو وسيلة أساسية للأفراد من أجل استنباط القواعد الاجتماعية التي تشكل بدورها تمايزا بين الأفراد حتى قبل دخولهم إلى المؤسسة التعليمية. (لعبي، 2009، ص 30)

كما أوضح بأن المنتمين إلى الطبقة الفقيرة الذين لديهم مستوى تعليمي ضيق ومستوى اقتصادي متدن يواجهون صعوبات في التعلم المدرسي و من ثم يكون تحصيلهم الدراسي ضعيف على عكس الطبقات المتوسطة و الغنية الذين لديهم تحصيل جيد و هو يرجع هذا التفاوت المدرسي إلى اللامساواة الاجتماعية التي خلقت الفرق بين اللغة التي تستخدم رموز مفصلة و أخرى تعتمد على رموز مقيدة. و مما سبق فإن النظرية البرنشتاينية تركز على أن "النمو اللغوي و تطوره لدى التلميذ يتأثر بطبيعة العلاقة القائمة بين أفراد الأسرة و هي لا تساعد على النمو اللغوي عند تلاميذ الفئة الاجتماعية الفقيرة لأنها لا تتمتع بعلاقة بسيطة و مباشرة و سلطوية على عكس ما يحدث في الوسط الاجتماعي للفئة الغنية أو المتوسطة التي تتمتع بلغة التفاهم و أسلوب الحوار و التعبير . " (تلي وطويل، 2021، ص208، 206)

5-2 النظرية المنهجية الفردانية: يعد السوسيولوجي الفرنسي ريمون بودون (Raymond Boudon) (1934-2013) أب هذه النظرية و هو صاحب كتاب "

اللامساواة في الفرص الحراك الاجتماعي في المجتمعات الصناعية" (1973) و قد انطلق في تحليلاته من الفرد باعتباره الأداة المحورية للتحليل السوسيولوجي و ضمن هذا المسعى فقد حاول فهم إشكالات النظام التعليمي من المنظور الميكروسوسيولوجي حيث أوضح بأن "قطاع التربية والتعليم قطاع يشبه السياسة فهو مسرح لظهور الأزمات و الصراعات الاجتماعية الناتجة عن المفاعيل المنحرفة (الظواهر غير المتوقعة) القائمة على سلوكياتهم و أفعالهم و ليس نتيجة لعلاقات السيطرة (مكناسي، 2018، ص92) أي أن التفاوت في الفرص التعليمية ناجم عن اختلاف في مصالح الفاعلين داخل منظومة التربية و التعليم ، كما أنه في إطار تفسيره للنظام التربوي فقد اعتبره بأنه "نظام مرن و تميزي مبني على اللامساواة في المواهب والأذواق والاتجاهات واختلاف الثقافات العائلية التي تجسد الخيار الأحسن" (بودبزة، 2013، ص327) فالأفراد يتميزون بإتخاذهم لقرارات عقلانية مرتبطة بالتوليفة المكونة من : الفائدة، التكلفة ، الأخطار ، حيث يختار المتعلم بنفسه المسار الأكثر مردودية مثل التوجه إلى التمدرس في المؤسسات التعليمية الخاصة من عدمه آخذا بعين الاعتبار الفائدة التي ستعود على وضعه الاجتماعي و كذا النفقات التي ستمنحها له عائلته في سبيل تمويل تعليمه إضافة إلى تقديره لخطر الفشل الذي من الممكن أن يحدث بسبب خياره و قراره (بودون و فيول ، 2010، ص76) و حسب بودون عندما يتم تجميع و دمج مختلف الأفعال الفردية ستبرز مختلف الظواهر الاجتماعية و التربوية .

وبناء على التحليل البودوني فاللامساواة الاجتماعية المدرسية تبنى على نموذج نظري قائم على : "الأصل الاجتماعي الذي يسير من طرف ميكانيزمات وسيطة (جماعة ، الأصل ، الإرث الثقافي ...) و توزيع متنوع لمفهوم النجاح و العمر إضافة إلى اقتران متابعة الأفراد في النظام التعليمي بعملية أخذ القرار في المقياس الذي يعمل من خلال المكانة الاجتماعية ." (بودبزة، 2013، ص327)

5-3 نظرية المواقع و الحظوظ : رائدها عالم الاجتماع الفرنسي "فرانسوا دوبي" (François Dubet) (1947) و الذي يعد من بين أهم المنشغلين بحقل سوسيولوجيا التربية و التي اندرجت تحليلاته في تيار ما بعد الحداثة حيث تناول فيها المتغيرات المدرسية من وجهة نظر ميكرو سوسيولوجية خصوصا في كتابه : "المواقع و الحظوظ إعادة تفكير التفاوتات الاجتماعية". فحسبه "النخبة المدرسية هي التي تنحدر منها النخبة المجتمعية ، في حين أن المنهزمين في المنافسة المدرسية هم باستمرار المنحذرون من الفئات المهمشة كما أنه تتطور داخل كل من المدارس العمومية والخاصة سوق مدرسية فكل المسائل و الشواهد و المؤسسات هي في حالة تنافسية و كلما زادت الانتقائية كلما اعتبرت أكثر أهمية (دوبيه، 2016، ص84،85) كما أنه من وجهة نظر فرانسوا دوبي فإن هناك رهان أساسي يتمثل في الوقوف ضد كل أشكال التمييز من قبل كل من المؤسسات العامة و الخاصة على عدة مستويات من بينها التعليم والعمل و العدالة كما اعتبر بأن التلاميذ الممتازين يستفيدون من ظروفهم الأسرية والاجتماعية عبر تلقيهم لعرض ممتاز و بالتالي يكون المجتمع أكثر عطاء لهم (دوبيه، 2016، ص113،108). كما أنه من وجهة نظر دوبي فإن هناك ثلاث مشكلات رئيسية تؤثر على أداء و فرص التعليم و تتمثل في عمل المدرسة على إنتاج الكثير من اللاتكافؤات في الفرص إضافة إلى أن المدرسة غير مضيافة حيث لا يشعر المتعلمين بالراحة في علاقتهم مع زملائهم و معلمهم و كذلك هناك أزمة متعلقة بالجهات المكلفة بتحمل المشاكل التربوية. (حسني، 2016، ص146) و بالتالي فهو يعتبر بأن النظام التعليمي لا يقدم عرضا متساويا لجميع أفراد المجتمع حيث أن جميع المتعلمين الأكثر حظا يتم في المدارس الخاصة التي توجه مرتاديهما نحو حراك أعلى يتيح امتيازات للطبقات المتوسطة و العليا من حيث الموارد و الكفاءة و من هنا فالتعليم يسعى إلى إعادة إنتاج المميزين اجتماعيا بطريقة مشرعة ثقافيا وداعمة للرأسمال الثقافي و النخبوي. (Dubet, 2022.p119-122)

و كون أن دوبي قد سلط الضوء على التعليم باعتباره أداة لتعميق عدم المساواة الاجتماعية فإنه أقر كذلك بأنه من الضروري اعتبار جميع المتعلمين متساويين ويجب أن يحظى كل واحد منهم بعناية خاصة من خلال ضمان المدرسة لمستوى عال من المعارف و المهارات خصوصا بالنسبة للمتعلمين الذين لديهم مستوى ضعيف وذلك من أجل إضعاف آثار اللاتكافؤات الاجتماعية. (حسني، 2016، ص 147)

6- أشكال مؤسسات التعليم الخاص في الجزائر :

تنقسم المدارس في القطاع الخاص في المجتمع الجزائري إلى شكلين هما :

- **المدارس الخاصة الوطنية :** وهي مجمل المؤسسات التربوية في كل من الطور الابتدائي و المتوسط و الثانوي تقوم بتقديم خدمة التعليم بمقابل مالي يكون مالكوها أو الأفراد العاملين بها من ذوي الجنسية الجزائرية.
- **المدارس الخاصة الأجنبية :** و تشمل المؤسسات التربوية الخاضعة للإتفاقيات الثنائية التي يتم عقدها بين الدولة الجزائرية و دولة أخرى و يحرس فيها التلاميذ الذين يملكون جنسية مزدوجة و التلاميذ الأجانب و التلاميذ الجزائريين بشرط أن تكون مناهجها التعليمية مطابقة لمناهج التعليم الرسمية التي وضعتها وزارة التربية الوطنية وهي تقدم خدماتها بمقابل مالي. (طوال و بلي ، 2022 ، ص 1176)

7-عوامل التوجه المفرط نحو المؤسسات التعليمية الخاصة الجزائرية:

- لقد شهد المجتمع الجزائري خلال الآونة الأخيرة ارتفاعا رهيبا للمتعلمين بالمدارس الخاصة نظرا لمجموعة من العوامل المتداخلة فيما بينها و التي من أبرزها ما يأتي :
- ارتفاع المستوى التعليمي للوالدين حيث أن أغلب المتعلمين في المدارس الخاصة مستواهم التعليمي عال ، إذ يحرص هؤلاء الأولياء على توريث أبنائهم لوضع اجتماعي متميز و الحفاظ على المكانة الاجتماعية للعائلة عبر تعليمهم بالمدارس الخاصة.

- قلة عدد أفراد الأسرة النووية حيث أصبحت هي السائدة في مجتمعنا الجزائري خلال الفترة المعاصرة نظرا لمجمل التغيرات الاجتماعية و الثقافية التي اقتضتها السنوات الأخيرة.

- اشتغال أولياء المتدربين في المؤسسات التعليمية الخاصة في وظائف مرموقة كمهنة الطب، الهندسة .. مما يجعل دخلهم المادي المرتفع يمكنهم من تدريس أبنائهم بالفضاء التعليمي الخاص.

- توفير المدارس الخاصة لنظام التكفل بالتلاميذ على مدار اليوم ،حيث أن خروج المرأة للعمل ساهم في الاتجاه نحو تعليم الأبناء في القطاع الخاص. (عراجي، 2013/2014، ص ص 355، 380، 406)

- تميز المدارس الخاصة بقلّة أعداد التلاميذ داخل الصفوف الدراسية و الذي يؤدي بدوره إلى التحكم في ميكانيزمات الإدارة الصفية من قبل الأساتذة و زيادة التفاعل الصفّي سواء مع الأساتذة أو مع الزملاء .(حوشي، 2014/2015، ص 379)

- تتيح مدارس التعليم الخاص إمكانية إشراك و استشارة الوالدين في كل الجوانب المتعلقة بالعملية التعليمية و تمنح لهم الحرية في التعامل مع الطاقم الإداري والتربوي.

- جودة المناهج التعليمية خصوصا ما تعلق باللغات الأجنبية و كذا النشاطات الترفيهية.

- رضا الأولياء على خبرات الأساتذة .

- توفر الأمن داخل المدارس الخاصة.(طوال و بلي، 2022، ص 1190)

و في هذا المقام فإن الإقبال المتزايد نحو التعليم في المدارس الخاصة الجزائرية هو محصلة للوضع الاجتماعي الذي يشغله هؤلاء الأفراد مع مجموعة الامتيازات التي يوفرها هذا النمط من التعليم و يسعى إلى تطويرها بشكل دائم يحقق التنافسية و الانفرادية ويساهم في إبقاء الأفراد في نفس المكانة العالية التي تتمتع بها أصولهم الاجتماعية والثقافية و الاقتصادية .

8-تظاهرات الطبقة الاجتماعية في الحقل التعليمي الخاص:

يمتاز المجتمع الجزائري بتنوع طبقاته المشكّلة له حيث توجد فيه فئات هشة، متوسطة وغنية و لهذا فبروز أعداد هائلة من المؤسسات التعليمية الخاصة أضحت مرتعا لشتى مظاهر التفاوت و التمايز الاجتماعي بين هاته الطبقات التي التي تسوده و طرح ظاهرة عدم المساواة بين أفرادها ، وضمن هذا المنحى فإن هناك عدة تحليلات فرضها الحقل التعليمي الخاص ساهمت بدورها في تكريس آليات التباين الطبقي و التي على رأسها ما يأتي:

-التكاليف العالية للمدرس حيث تتراوح كلفة التلميذ الواحد ما بين 15000 دج إلى 25000 دج شهريا إضافة إلى تكاليف التسجيل و التأمين. (لشموت، 2021. المدارس الخاصة في الجزائر جلد التكاليف و التحصيل العلمي في :

(<https://ultralgeria.ultrasaut.com> (18:32)(10/11/2022)

و من هنا يتضح بأن ثمن الولوج إلى المدارس الخاصة يعد بمثابة ضريبة يستحيل تسديدها من قبل الطبقات الفقيرة داخل المجتمع الجزائري و التي لا يصل دخلها الشهري حتى إلى 25000 دج الذي يمثل تكلفة شهر واحد للخدمة التعليمية في المؤسسة الخاصة و بالتالي فالمدارس الخاصة تمتاز بخاصية الانتقائية فمن يملكون ثمن سلعة التعليم هم وحدهم القادرين على نيل تعليم خاص نجوي.

- الاختيار الشخصي للمؤسسة التعليمية الخاصة من قبل أولياء التلاميذ :حيث أن الوالدين لديهم الحرية في اختيار الفضاء المدرسي الذي يريدون أن يتمدرس فيه أبنائهم وفقا لما يتناسب مع طموحاتهم و أهدافهم المستقبلية

-الشعور بالتعالي لدى المتعلمين في المدارس الخاصة حيث يتولد لديهم شعور بالفوقية ويتكرس في أذهانهم مبدأ أن المال هو الذي يجلب العلم (نخائي، 2021، ص299، 298) فيصبح التلاميذ من المدارس الخاصة لا يجذبون مخالطة أقرانهم من المدارس العامة أو حتى التعامل معهم ظنا منهم أنهم في مرتبة أعلى تتيح لهم التباهي الاجتماعي بموقعهم الخاص و المتميز عن غيرهم.

-إعطاء الفرصة في مواصلة التعليم بالنسبة للتلاميذ المعيّدين أو المطرودين من المدارس العمومية (خوشي، 2014/2015، ص383) و حتى لفئة ذوي الاحتياجات الخاصة (كالذين يعانون من صعوبات التعلم (عسر القراءة، الكتابة، الحساب...) الذين تتوفر لديهم ثمن خدمة التعليم .

- الاعتماد على الأساتذة من ذوي الخبرة و الكفاءة حيث تلجأ المدارس الخاصة إلى استقطاب الأساتذة المتقاعدين من التعليم العمومي لضمان الفعالية التدريسية. (لونيسي، 2021، ص75)

و بالتالي فالحقل التعليمي الخاص يفرض من خلال ميكانيزماته التي يعتمد عليها تعليمًا مختلفًا عما سواه سواء من ناحية قبول المتعلمين، الرسوم الدراسية، الجودة التعليمية، المرافق و الخدمات المقدمة و هذا ما يساهم في تكريس عدم مساواة بين الفاعلين الاجتماعيين كل حسب أصله الاجتماعي .

الخاتمة :

نخلص إلى أن التعليم الخاص في الجزائر هو تعليم نخبوي غير مجاني يترتب عليه رسوم دراسية باهضة الثمن و التي تزداد كلفتها كلما تم الانتقال إلى طور أعلى من الابتدائي إلى المتوسط فالثانوي، فهذا النمط من التعليم لا يستقطب كل الشرائح الاجتماعية بل هو محتكر في يد الطبقات المهيمنة التي تفرض سلطتها داخل المجتمع عبر توفير الخلفية العائلية للإمكانيات و الفرص مما يساهم في تشكيل تراتبية اجتماعية عبر توريث المكانة الاجتماعية المتميزة جيلا بعد آخر و الحصول على الامتيازات التي تخول المحافظة على الانتماء الطبقي و العلاقات الاجتماعية الراقية و الإبقاء على مظاهر الصفوة و القوة المجتمعية معززة بذلك اللامساواة و معمقة للفجوة بين أفراد المجتمع ومن ثم إعادة إنتاج الهرمية السائدة فيه .

قائمة المراجع

المراجع باللغة العربية:

1. أبو دوح، خالد كاظم. (2016). النخب الاجتماعية في مصر. دط. القاهرة، مصر: النخبة للطباعة والنشر.
2. بورديو، بيار. (1998). أسباب عملية إعادة النظر بالفلسفة. (ترجمة أنور مغيث). ط1. بيروت، لبنان: دار الأرمنة الحديثة.
3. بزاز، عبد الكريم. (2007/2006). علم اجتماع بيار بورديو. أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر.
4. بودبزة، ناصر. (2013). العائلات والفعل التربوي: ممارسة تعليمية أم إستراتيجية لإنتاج الخيارات. مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة بسكرة (10).
5. بودون، ريمون و فيول، رينو. (2010). الطرائق في علم الاجتماع. (ترجمة مروان بطش). ط1. بيروت، لبنان: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع.
6. بدوي، أحمد زكي. (1986). معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية. بيروت، لبنان: مكتبة لبنان.
7. جعيني، نعيم حبيب. (2009). علم اجتماع التربية المعاصر بين النظرية و التطبيق. ط1. عمان، الأردن: دار وائل للطباعة و النشر و التوزيع.
8. دوييه، فرانسوا. (2016). المواقع و الحظوظ إعادة تفكير التفاوتات الاجتماعية. (ترجمة كنزة القاسمي). دط، إفريقيا الشرق.
9. حمدي، علي أحمد. (2003). مقدمة في علم اجتماع التربية. دط. الإسكندرية، مصر: دار المعرفة الجامعية.
10. حمداوي، جميل. (2018). نظريات علم الاجتماع. ط1. عمان، الأردن: مؤسسة الوراق للنشر و التوزيع.
11. حسني، مصطفى. (2016). المتعلم في ضوء مبدأ تكافؤ الفرص من منظور فرانسوا دويي. مجلة علوم التربية.
12. حوشي، سعاد. (2014-2015). مدى فعالية المدارس الخاصة في المجتمع الجزائري. أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع التربوي. جامعة الجزائر 02.
13. طوال، هيبية ويلي، زبيدة. (2022). أثر جودة الخدمات التعليمية بالمدارس الخاصة على رضا الأولياء. مجلة الواحات للبحوث و الدراسات.
14. ينون، أمال و آخرون. (2022). صنع السياسات العامة في دول الخليج العربية الواقع و التحديات. (تحرير مروان قبلاص). ط1. بيروت، لبنان: المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات.
15. لعبي، هادي نحر. (2009). اللسانيات الاجتماعية عند العرب. دط. أربد، الأردن: عالم الكتاب الحديث.
16. لشموت، عمار. المدارس الخاصة في الجزائر جدل التكليف و التحصيل العلمي. 2021 في: <http://ultralgeria.ultrasait.com>
17. لويسسي، ريم. (2021). إشكالية المدرسة الخاصة في الجزائر بين خصوصية المجتمع المحلي و تأثيرات العولمة الثقافية. مجلة سوسيوولوجيون. (1)2.
18. المجيد، عبد الله شمت ووظقة، علي أسعد. (2015). دراسات في سوسولوجيا التربية. ط1. عمان، الأردن: دار الإعصار العلمي للنشر و التوزيع.
19. مكناسي، أمينة. (2018). مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية في التعليم الجامعي. مجلة معابر (1)4.

20. ثعالي، حفيفة. (2021). التعليم الخاص في الجزائر بين الاستقلالية القانونية ورقابة الوزارة الوصية. مجلة آفاق للعلوم، جامعة الجلفة..
21. العلي، بلال موسى. (2022). لعبة الحقل الرقمي. ط1. الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: أوشن ماكولي للنشر.
22. عبد الأمير، عادل و خزعل، ناشور هيام. (2020). واقع التعليم الخاص و آفاقه المستقبلية في محافظة البصرة. مجلة العلوم الاقتصادية البصرة، العراق.
23. عبد الغني، عماد. (2016). سوسولوجيا الثقافة المفاهيم و الإشكالات ... من الحداثة إلى العولمة. ط3. بيروت، لبنان. مركز دراسات الوحدة العربية.
24. عبد الرحمان، عبد الله محمد. (1998). علم الاجتماع التربية الحديث النشأة التطورية و المداخل النظرية والدراسات الميدانية الحديثة. الإسكندرية، مصر: دار المعرفة الجامعية.
25. عراجي، إيمان (2014/2013). التعليم الخاص في الجزائر و جدواه الاجتماعية و الثقافية في ظل العولمة الاقتصادية. أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع التربوي. جامعة الجزائر 02.
26. الشخبي، علي السيد محمد. (2002). علم اجتماع التربية المعاصر تطوره منهجيته. تكافؤ الفرص التعليمية. ط1. القاهرة، مصر: دار الفكر العربي.
27. شوفليه، ستيفان و شوفيري، كريستيان. (2013). معجم بورديو، (ترجمة الزهرة إبراهيم)، ط1. الشركة الجزائرية السورية للنشر والتوزيع.
28. شحاتة، حسن و النجار، زينب. (2011). معجم المصطلحات التربوية والنفسية. ط2. القاهرة، مصر: الدار المصرية اللبنانية.
29. تلي، نسيم و طويل، فتيحة، (2021). التباين اللغوي و اللامساواة الاجتماعية المدرسية. قراءة تحليلية في مقارنة الرموز اللغوية لبازل برانشتاين. مجلة أنسنة للبحوث و الدراسات، جامعة الجلفة .

المراجع باللغة الأجنبية :

1. Alpe.Y et al.(2013).lexique de sociologie.4édition.dalloz
2. Bourdieu.P et passeron.J.C.(1964).les héritiers :les étudiants et la culture.paris.la france:édition la minuit.
3. Dubet.F.(2022).tous inégaux. Tous singuliers repenser la solidarité. paris :éditions du seuil.
4. Jourdain.A et Naulin.S.(2011).sociologies contemporaines.paris.la France :édition la minuit.
5. Klippel Fofanoe .D and luiz Rech.H .(2021).ideology and education from the perspective of Louis althuser .edução en revista .belo horisonte.37(232216).
6. Turner .B.(2006).the Cambridge dictionary of sociology .Cambridge university press.